

مجالس القرآن الكريم مع الشيخ ربيع المدخلي في رمضان

قال الحافظ ابن كثير عنده قوله تعالى :

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [٣١] قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ [٣٢] قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿البقرة: ٣٣﴾

هذا مقام ذكر الله تعالى فيه شرف آدم على الملائكة، بما اختصه به من علم أسماء كل شيء دونهم، وهذا كان بعد سجودهم له، وإنما قدم هذا الفصل على ذلك، لمناسبة ما بين هذا المقام وعدم علمهم بحكمة خلق الخليفة، حين سألوا عن ذلك، فأخبرهم [الله] تعالى بأنه يعلم ما لا يعلمون؛ ولهذا ذكر تعالى هذا المقام عقيب هذا ليبين لهم شرف آدم بما فضل به عليهم في العلم، فقال تعالى: (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا)

وقال السدي، عن حدثه، عن ابن عباس: (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا) قال: عرض عليه أسماء ولده إنساناً إنساناً، والدواب، فقيل: هذا الحمار، هذا الجمل، هذا الفرس.

وقال الضحاك عن ابن عباس: (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا) قال: هي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس: إنسان، ودابة، وساء، وأرض، وسهل، وبحر، وجمل، وحمار، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها.

وروى ابن أبي حاتم وابن جرير، من حديث عاصم بن كليب، عن سعيد بن معبد، عن ابن عباس: (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا) قال: علمه اسم الصحيفة والقدر، قال: نعم حتى الفسوة والفُسْيَّة .

وقال مجاهد: (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا) قال: علمه اسم كل دابة، وكل طير، وكل شيء.

وكذلك روي عن سعيد بن جبير وقتادة وغيرهم من السلف: أنه علمه أسماء كل شيء، وقال الربيع في رواية عنه: أسماء الملائكة. وقال حميد الشامي: أسماء النجوم. وقال عبد الرحمن بن زيد: علمه أسماء ذريته كلهم.

واختار ابن جرير أنه علمه أسماء الملائكة وأسماء الذرية؛ لأنه قال: (ثُمَّ عَرَضَهُمْ) وهذا عبارة عما يعقل. وهذا الذي رجح به ليس بلازم، فإنه لا ينفي أن يدخل معهم غيرهم، ويعبر عن الجميع بصيغة من يعقل للتغليب. كما قال: وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [النور: ٤٥] .

[وقد قرأ عبد الله بن مسعود: "ثم عرضهن" وقرأ أبو بن كعب: "ثم عرضها" أي: السماوات] .

والصحيح أنه علمه أسماء الأشياء كلها: ذواتها وأفعالها؛ كما قال ابن عباس حتى الفسوة والفُسْيَّة . يعني أسماء الذوات والأفعال المكبر والمصغر؛ ولهذا قال البخاري في تفسير هذه الآية من كتاب التفسير من صحيحه: حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا هشام، حدثنا قتادة،

عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال - وقال لي خليفة: حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا سعيد، عن قتادة عن أنس، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال - : "يجتمع المؤمنون يوم القيامة، فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا؟ فيأتون آدم فيقولون: أنت أبو الناس، خلقتك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، فاشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيقول: لست هُنَاكُمْ، ويذكر ذنبه فيستحيي؛ اتوا نوحًا فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، فيأتونه فيقول: لست هُنَاكُمْ. ويذكر سؤاله ربه ما ليس له به علم فيستحيي. فيقول: اتوا خليل الرحمن، فيأتونه، فيقول: لست هُنَاكُمْ؛ فيقول: اتوا موسى عبدًا كلمه الله، وأعطاه التوراة، فيأتونه، فيقول: لست هُنَاكُمْ، ويذكر قتل النفس بغير نفس، فيستحيي من ربه؛ فيقول: اتوا عيسى عبد الله ورسوله وكلمة الله وروحه، فيأتونه، فيقول: لست هُنَاكُمْ، اتوا محمدًا عبدًا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيأتوني، فأنطلق حتى أستأذن على ربي، فيؤذن لي، فإذا رأيت ربي وقعتُ ساجدًا، فيدعني ما شاء الله، ثم يقال: ارفع رأسك، وسل تعطه، وقل يسمع، واشفع تُشَفَّع، فأرفع رأسي، فأحمده بتحميد يعلمني، ثم أشفع فيحد لي حدًا فأدخلهم الجنة، وإذا رأيت ربي مثله، ثم أشفع فيحد لي حدًا فأدخلهم الجنة اضغط هنا، ثم أعود الرابعة فأقول: ما بقي في النار إلا مَنْ حبسه القرآن ووجب عليه الخلود".

تعليق الشيخ ربيع بن هادي المدخلي

في هذه الآية بيانٌ لفضل آدم عليه الصلاة والسلام و شرفه و مرتبته و فضله على الملائكة (...). قال الله تعالى: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ...﴾ استفهما ليعرفوا الحقيقة وأخبرهم الله تبارك وتعالى بأنه يعلم ما لا يعلمون ثم علّم آدم الأسماء كلها ليبين فضله ومكانته أسماء كل شيء من السماء والأرض والجبال والبحار وما شاكل ذلك علّمه الله أسماء هذه الأشياء سبحانه وتعالى ليريه فضل آدم عليه الصلاة والسلام الذي (...). أن ذريته سيفسدون في الأرض ويسفكون الدماء ثم أخبر تعالى أنه يعلم أنه يحصل الفساد بسفك الدماء لكن هناك مصلحة أعظم راجحة على هذه المفسدة هو أن في ذرية آدم الأنبياء والصدّوق والشهداء والصالحون وأوليائه المحييين (...). ولحكمته سبحانه وتعالى ومعرفته وعمله الواسع بأنه سيوجد أنبياء وصالحون وصدّوق وشهداء ومجاهدون يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويقيمون المصالح العظيمة التي ترجح وتفوق تلك المفسدة التي تصوّرها الملائكة واستفسروا عنها ثم بيّن فضل آدم على الملائكة بتعليمه الأسماء كلّها فيه فضل العلم أنت عندك علم قليل وهذا عنده علم غزير هذا أفضل منك تفاوت بين الناس عنده منزلة عند الله تبارك وتعالى

(...) فضل الله آدم عليه الصلاة والسلام بهذا العلم الذي شمل الأشياء كلّها ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [٣١] قالوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ [٣٢] قال يا آدم أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ...﴾ [البقرة: ٣٣]

أنبئهم بهذه الأسماء يُبيّن شرفه (...) وعرفوا الحكمة في خلق آدم عليه الصلاة والسلام (...).

(**قالوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا**) نَزَّهوا الله سبحانه وتعالى وقَدَّسوه ونَزَّهوه عما لا يليق به سبحانه وتعالى وأنهم لا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء سبحانه وتعالى ليس لنا علمٌ إلا بما عَلَّمْتَنَا إِيَّاهُ (...) فاعترفوا بأنَّ محيط علمه بكل شيء وأنَّهم لا علم لهم إلا ما علَّمهم الله إِيَّاه وهذه الأشياء التي فَضَّلَ بها آدم عليه الصلاة والسلام لم يُعَلِّمهم إِيَّاهَا لحكمة منه سبحانه وتعالى لبيان فضل آدم عليه الصلاة والسلام على الملائكة عليهم الصلاة والسلام (قال يا آدم أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ) بِأَسْمَاءِ الأشياء التي عُرِضَتْ من الجبال والبحار والأنهار والدواب بمختلف أصنافها ... أَسْمَاءُ كُلِّ شَيْءٍ (...)

﴿ ... قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [البقرة: ٣٣] (...)

ما أبدوه في هذا المقام (**قالوا أَنْتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ**) هذا الذي أبدوه والذي أخفوه يقول المُفسِّرون هو الشيطان الذي أَسَّرَ في نفسه الكيد والمكر ومخالفة أمر الله والعِدَاءُ لآدم عليه الصلاة والسلام هذا لما رأى إبليسُ آدم (...) حسداً دَبَّرَ هذه المكيدة من قبل أن يأمر الله ملائكته بالسجود لآدم عليه الصلاة والسلام ولما أمر الله بالسجود أبى واستكبر وكان من الكافرين حسداً منه لعنة الله عليه (...)

كيف يقال مثلاً إِنَّ الشيطان وحده بين هؤلاء كُتْمٌ في نفسه الشر والكيد والبلاء ضدَّ آدم ثم يقول (**وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ**) يعني نسب فعل إبليس إليهم قال هذا جانب من قول العرب تقول هُزِمَ الجيش أو قُتِلَ منهم واحد أو قتل بعضهم هزم واحداً منهم و هزم بعضهم يطلق العرب النون وإن كان الهزيمة والقتل قتل جزئي وحاصل من الواحد أو من البعض وكذلك في هذا الكلام قد يستشكل الإنسان يقول كيف ينسب والذي أَسَّرَ هو واحد مجرد الجواب أَنَّ هذا أسلوب عربي ... قد يستشكل الإنسان يقول كيف ينسب إليهم ما أَسَّرَهُ هذا الشيطان الرجيم وهو كان في الملائكة واحد ويُنسب إلى الجميع فعله وما أَسَّرَهُ نُسِبَ إلى الملائكة قالوا هذا كلام العرب والقرآن عربي مبين نزل بلغة العرب ...

الله سبحانه لما بين فضل آدم عليه الصلاة والسلام وزال عنهم ما كان خفي عنهم من العلم بما يترتب من مصالح بخلق آدم وبين لهم فضل آدم وأنبأهم بما لا يعلمون قال الله تعالى (**قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ**) سبحانه وتعالى وهم يؤمنون بذلك أن الله سبحانه عالم الغيب والشهادة ولا يخفى عليه خافية فالله علام الغيوب يعلم ما في السماوات وما في الأرض وما كان وما سيكون وعَلِمَ الأشياء كلها قبل إيجادها تبارك وتعالى وسَجَّلَ كُلَّ تلك المعلومات في اللوح المحفوظ ﴿ ... وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾ [يس: ١٢] سجله في اللوح المحفوظ وما من شيء صغير أو كبير دقيق أو جليل إلا وقد علمه سبحانه أزلًا ثم كتبه في اللوح المحفوظ ثُمَّ يَنْفِذْهُ بعد ذلك بإرادته ومشيئته في تهيئة خلقه للقيام بتلك الأفعال سبحانه وتعالى ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعْلِمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٥٩]

علمه الله سبحانه وسَجَّلَهُ في كتاب مبين

نسأل الله تبارك وتعالى أن يرزقنا تعظيم ربنا وطاعته وإمتثال أوامره وإجتنب نواهيه وأن يثبتنا على الحق إن ربنا لسميع الدعاء وصلى الله على نبيِّنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلَّم

